

من توقيع المعاهدات بلا صفة إلى البكاء في الجنازة المشمسة

محسن مرزوق

شاعر على الدوام وسياسي يسعفه الكلام



● مغامرة "نداء تونس" لم تكن مشروع حزب واضح الرؤية والبرنامج بقدر ما كانت تجميعاً من قايده السبسي لأسماء مؤثرة ولاعبة من هنا وهناك، من بينهم مرزوق، بغية دخول الانتخابات والتصدي لتغول الإسلاميين.



● مرزوق مشغول بالأرقام والحسابات، فهو سياسي محنك وعتيق، لكنه دافئ القلب لمن يطلع على اعترافاته الوجدانية وأوراقه الأدبية، وخصوصاً ديوانه الأخير "جنازة شمسة" الذي أهداه لصديقه الراحل شكري بلعيد. (الصور من الفيسبوك)



الوصفات السياسية يستلها

مرزوق من جيب سترته عند كل عاصفة تجتاح البلاد في شتى مجالات الحياة الحزبية والاجتماعية والثقافية، وفي كل مرة يكون سيد المصطلحات ومبتدع الشعارات ومطلق المبادرات

وتضيف الباحثة التونسية في لغاتها مع "صاحب مشروع تونس الشعري" للذهاب أكثر نحو الالتباس في لقاء جاء على إثر توقيع مرزوق لكتابه في مدينة الثقافة بمدينة تونس، بالمناسبة كان أمين عام حزب مشروع تونس يوقع نسخ الكتاب بنفس القلم الذي يوقع فيه البيانات الصادرة من مكتبه السياسي، اخترت أن أخطر بتصديق رجل سياسة والسياسيون معروفون بالمرأعة، واخترت أن أصدق شاعراً وكانت العرب قد قالت "أعذب الشعر أكذب". رد مرزوق إن هذا الكتاب ليس سياسة ولا فكري إنما هو ألق بلا روح.. ولكن أي روح؟ روح شكري أم روح محسن؟

وبنفس الحمي وكان إزاء شاعر قام من أوديسة الإغريق، يخاطب مرزوق النساء المنتسبات بالسواد

في جنازة شكري بلعيد "الآن حان الوقت لهن ليتفرغن للنواح عليك، ابكين عليه أيتهن المكومات المتجوجعات! لا تتركن الحزن يجمد في قلوبكن.

ابكين كل ما في أعينكن وأرواحكن.. ومثل وقوفه وهو يحيي العلم في معتقل "رجيم معتوق" بعد 30 عاماً، وقف مرزوق عند الصخرة على الشاطئ الذي مات فيه والده "في هذا المكان منذ 50 عاماً خرج والذي من المصنع الكيمياء الملوث الذي يعمل فيه وهو يحس بضيق في صدره، نزع ملابسه في حر سبتمبر وكأنه يريد أن يسبح ولكن سقط في الماء مغشياً عليه ليموت في أقصر من نراع بحر، وقتها كنت طفلاً. لم أقف عند هذا المكان أبداً لأسأل الصخر والبحر عن تفاصيل فجيعه يتمنا أنا وإخوتي وترمل والتي وهي تحت سن الثلاثين."

أول ما جعل الناس والنقاد يتفنونون إلى مرزوق الشاعر، لم يكن نصاً شعرياً خلاصاً بل دعوة منه الجهات الرسمية في البلاد إلى إقامة جنازة وطنية للشاعر محمد الصغير أولاد أحمد، فكتب على صفحته في الفيسبوك "لأنه أحد ملوك تونس العظام ولم يملك المادة ولكنه ترعب على عروش الروح، أدعو السيد رئيس الحكومة ووزيرة الثقافة بأن يرفع جثمانه المسجى بالراية الوطنية التي أحبها بأبيادي ضباط الجيش لواجه عين الشمس التي تحادها ثم ليقلب التربة التي أحب، منها يكون ولها يعود".

وأضاف حينها، مخاطباً سلطات الإشراف، بكل ما يمتلكه من حب لصديقه "أدعو أن تكون مسيرته الأخيرة بين محبيه في مستوى ما كان وما سيكون وفي مستوى ما نريد أن يكون تقدير هذه الأمة بتاريخها الذي يتجاوز ثلاثة آلاف سنة للثقافة والمثقفين" واختتم كلمته "ولتكن ضحكة الفرح الذي يحتفي بالبيت مثلاً بيكبه. نحن نعتب لرجلك يا أولاد أحمد وسعداء لأنك كنت منا وستبقى لنا نفاخر أمة الشعر بك".

هذه "السعادة" التي يصير عليها مرزوق في توديع أصدقائه، وكانها هي لحظة احتفاء بالحياة التي فاجتته عند رحيل الأحبة، ونبهته أنها قد أهدته صداقات لم يوفها حق قدرها إلا في لحظات الفراق فتشتعل الجذوات عند ساعة احتضان الأرض لأبنائها في مواكب الاعتراف العظيم، والذي منه يولد مفهوم اللوطن بعيداً عن البازار السياسي.

من هنا، ومن هذا الالتباس الموهل في الوضوح تساءلت الناقدة والأكاديمية التونسية ألفة يوسف كيف لجنازة أن تكون مشمسة؛ وذلك في لقاء مع محسن مرزوق تحاوره فيه عن مجموعته الشعرية الجديدة "جنازة شمسة" التي أصدرها في الذكرى الثامنة لرحيل رفيق دربه شكري بلعيد، وأهداها إلى روحه.

ومهما كانت النتائج المهم ألا يبقى هذا الرجل المصاب بالإفراط في الحركة مكتوف اليدين، فقير القاموس السياسي، وعديم التفاعل مع محيطه، فمن نقده لـ"الاستعمار الداخلي" وتحريضه على "الانقلاب الشعبي الجارف" وتحمسه لـ"الحوار الوطني" ودعوته لـ"الجمهورية الثالثة" وتبنيه لـ"التنسيق الحزبي المغربي"، وصولاً إلى رفع شعار "محرارية البطالة الإجبارية" ومعالجة الأضرار التي ستلحق بأصحاب المقاهي والمحلات والفنانين، وانتهاء بمناجاة الشكوى التي تقدم بها عدد من المواطنين ضد كل من سيكشف البحث عنه في جريمة التأخر في جلب اللقاحات المضادة لفايروس كوفيد - 19 والحبل على الجرار، فالبيانات "المرزوقية" لا تنتهي، طالما أنها تسعفه الفصاحة كلها، وغيره "يموت على فمه التعبير".

التطهر بالقصائد

يخفي وراء مرزوق القبط المتوثب إنسان حالم ويصر على تحقيق حلمه عبر العمل السياسي، فإن انكسر أو ذوى الساعد لجأ إلى الشعر كفعل تطهيري يدفع به اليأس نحو الأمانيات.

نقرأ في كل مرة، وفي غفلة من الزحام، استراحة شعرية ينشرها على شكل تدوينية في مواقع التواصل الاجتماعي فتقف مندششين متسائلين: ماذا يفعل هذا الشاعر في صفوف السياسيين؟ نصوص شامخة يكتبها بمنتهى الألق، والحس الشعري المدهش، وفوق ذلك كله: معرفة نقدية مسبقة بمفهوم الشعر - إن كان للشعر من مفهوم - فنجد أنفسنا أمام شاعر نقي وكانه لم يمارس السياسة في حياته قط. هل إلى هذا الحد تتقن المروعة أيها القادم من منطق "خطوات" إلى الأمام، خطوة إلى الوراء؟

من الربيع العربي بنسخته الإخوانية المشبوهة أم أن لديه مفهوماً آخر للربيع، يتضح مرة وبزاد ضبابية مرات أخرى؟

سياسة الذئاب المنفردة

الحقيقة أن تلك المغامرة الحزبية المستعجلة لم تكن مشروع حزب واضح الرؤية والبرنامج بقدر ما كانت تجميعاً من قايده السبسي لذناب منفردة أي لأسماء مؤثرة ولاعبة من هنا وهناك بغية دخول الانتخابات والتصدي لتغول الإسلاميين، فكان أن وصف أحدهم الباجي قائد السبسي بـ"الأسد العجوز الذي يقود قطيعاً من الذئاب".

رد مرزوق، وقتها، مكابراً بأن ذلك التوصيف مجرد قراءة تاويلية من أحد هواة كتاب "كلية ودمنة"، لكن المتوقع قد حصل، فتحالف الشيخان قايده السبسي وراشد الغنوشي لتقاسم الحكم وبدات مسجحة نداء تونس بالانفراط، وكان مرزوق أول المنتسقين دفاعاً عن مشروعه المدني الديمقراطي كما يزعم. وكان حزب مشروع تونس الذي تحمست له في البداية نخب ثقافية وأسماء اقتصادية وسياسية محسوبة على التيار الديمقراطي الحدائي، ثم بدأت تصيبه عدوى الانشقاقات مثل جائحة لا أحد في منأى عنها رغم ادعائه التحصن والوقاية.

وها هو مرزوق اليوم بمقاعد الأربعة تحت قبة البرلمان، يمضي في معاركه التي يصفها خصومه بالدونكيشوتية، لكن الرجل أنكى وأمكر من أن يكون متصلياً أرتونكسيا في رياح السياسة التي يواجها في كل مرة بسارية جديدة ومجداف أصلب من قبله وهو ابن سواحل الجنوب الشرقي التونسي، والطفل اليتيم،

قدّم نفسه كلاعب على طاولة الكبار وانضم مع من معه من مؤسسين إلى حزب "نداء تونس" بغية التصدي للمد الإخواني ولبلورة مشروع يعد بمثابة الجدار السياسي الذي يحمي الدولة المدنية وإنجازات بورقيبة من خطر الأسلمة. أثناء هذه الفترة سافر مرزوق إلى روسيا في يونيو 2015 بمبادرة منه ووافق عليها قائد السبسي، والتقى وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف ثم سلم الرئيس فلاديمير بوتين رسالة ودعوة لزيارة تونس. وسافر إلى مصر مرات بعد الثورة ضد الإخوان والتي قادت الرئيس عبدالفتاح السبسي إلى الحكم، كما سافر إلى بنغازي والتقى خليفته فخرت. "وهؤلاء كلهم ضد من يسمونه بالربيع العربي" يقول مرزوق.. فما الذي يريد قوله؟

ويعقب مرزوق في أحد لقاءاته وكانه يصد عرض سيرة ذاتية أو تعداد إنجازات تحسب له وتضاف إلى سجله "رفضت لقاء أربوغان حين الحوا على بلقائه أثناء زيارته لتونس، واتهمت بكوني رجل الإمارات أو مصر، أما دول الغرب التي انخرطت كلها في دعم الربيع العربي فليس من الحكمة قطع العلاقات معهما فانا بورقبيسي التربة والتوجه". لهذا الحد يتبنا مرزوق

الأوحد متمثلاً صورة الرفيق جوزيف ستالين ومسترجعاً حالات الحزن إلى سنوات النضال الماركسي في صفوف الحركة الطلابية التونسية التي كان من أبرز أسماؤها في سنوات الجمر، أيام حكم الرئيس بورقيبة الذي لا يتوانى مرزوق عن تلقيه بالزعيم الكبير مستخلصاً منه العبر، وهو الذي نفاه نظامه إلى قلب الصحراء التونسية في منطقة "رجيم معتوق" لأداء "عقوبة الخدمة العسكرية" في منتصف ثمانينات القرن الماضي.

بورقبي التربة والتوجه

ربما كان القاسم المشترك بين ستالين وبورقيبة أن الأول يعاقب معارضيه بالرح بهم في صحراء بيضاء من القلج في سيبيريا، والثاني يعاقبهم بصحراء صفراء من الرمال. وبين المتهتمين تفتح ذهن ابن مدينة المحرس، في محافظة صفاقس، على وعي ثالث، يجمع، كما يقيم القطيعة، بين الاثنين، يقدم نفسه كواحد من رموز الليبرالية اليسارية في تونس.

جاءت 14 يناير 2011 في تونس، لكنها في نظر مرزوق لا يمكن لها أن تصنع ربيعاً مجرد تفتح بضعة أرقام تحاصرهما أشواك التطرف، وعوسج الوعي الزائف، وكان على الرجل الذي اشتغل أيام حكم بن علي بالتحضير لأطروحاته الجامعية في المجال الحقوقي ومن ثم العمل في مراكز بحوث إقليمية أن يدخل السياسة من بابها العريض، لا من الشبايك والمنافذ الجانبية.

قدم نفسه كلاعب على طاولة الكبار وانضم مع من معه من مؤسسين إلى حزب "نداء تونس" بغية التصدي للمد الإخواني ولبلورة مشروع يعد بمثابة الجدار السياسي الذي يحمي الدولة المدنية وإنجازات بورقيبة من خطر الأسلمة. أثناء هذه الفترة سافر مرزوق إلى روسيا في يونيو 2015 بمبادرة منه ووافق عليها قائد السبسي، والتقى وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف ثم سلم الرئيس فلاديمير بوتين رسالة ودعوة لزيارة تونس. وسافر إلى مصر مرات بعد الثورة ضد الإخوان والتي قادت الرئيس عبدالفتاح السبسي إلى الحكم، كما سافر إلى بنغازي والتقى خليفته فخرت. "وهؤلاء كلهم ضد من يسمونه بالربيع العربي" يقول مرزوق.. فما الذي يريد قوله؟

ويعقب مرزوق في أحد لقاءاته وكانه يصد عرض سيرة ذاتية أو تعداد إنجازات تحسب له وتضاف إلى سجله "رفضت لقاء أربوغان حين الحوا على بلقائه أثناء زيارته لتونس، واتهمت بكوني رجل الإمارات أو مصر، أما دول الغرب التي انخرطت كلها في دعم الربيع العربي فليس من الحكمة قطع العلاقات معهما فانا بورقبيسي التربة والتوجه". لهذا الحد يتبنا مرزوق

حكيم مرزوقي
كاتب تونسي

● لم يعرف المشهد السياسي التونسي في نسخته الحديثة أو حتى المعدلة، رجلاً قادراً على تقديم الإجابات كل الإجابات الواضحة، وليس الحلول الشافية طبعاً، مثل محسن مرزوق. كيف لا والمفتاح هو شعار حزبه "مشروع تونس" الذي انشق من خلاله سنة 2016 عن حزب الرئيس الراحل الباجي قائد السبسي "نداء تونس" بعد المساهمة في تأسيسه.

ليس هذا في حد ذاته إجابة جريئة وذكية من شاب في منتصف الخمسينات، نصف أشيب، مربوع القامة، منتصب الهامة، متوثب النظرات، حاد القسما، حاضر البديهة، فصيح اللغة، وأنيق العبارة؟

مرزوق اليوم بمقاعد الأربعة تحت قبة البرلمان، يمضي في معاركه التي يصفها خصومه بالدونكيشوتية، لكن الرجل أنكى وأمكر من أن يكون متصلياً أرتونكسيا في رياح السياسة التي يواجها في كل مرة بسارية جديدة



ومرزوق بارد الراس مشغول بالأرقام والحسابات، ذلك لأنه سياسي محنك وعتيق، لكنه دافئ القلب لمن يطلع على اعترافاته الوجدانية وأوراقه الأدبية، وخصوصاً ديوانه الأخير "جنازة شمسة" الذي أهداه لصديقه الراحل شكري بلعيد، في ذكراه الثامنة. وفوق ذلك هو مخلص أيضاً، فعوا هل قلنا "مخلص" وكيف يتهمه إذن خصومه السياسيون، وحتى رفاقه من ثوريي الأوس بالتذبذب وعدم الاستقرار؟ كيف يدير هذا السياسي الذي حصل على "بطاقة احترام" في فترة وجيزة ظهره لتشاريعه الحزبية بذات الحماس الذي أقبل فيه عليها؛ حتى أنه أبدى أخيراً استعداده لحل حزبه "مشروع تونس" وتغيير برامجه بعد أن كان فيه الزعيم